

تاريخ الإرسال: 2020/01/13 تاريخ القبول: 2020/04/20

تاريخ النشر: 2020/11/03

تجليات الفشل المدرسي و مخرجاته

School failure indicators and its consequences

محمد بلخضر¹جامعة عمار ثلجي.الأغواط ، drbellamed72@gmail.com¹

المخلص:

سنتطرق ضمن مقالنا هذا إلى ظاهرة تربوية متجددة في الحقل التربوي، والمتمثلة في أهم المؤشرات والتجليات ذات الصلة بالفشل المدرسي، والذي اكتسح المؤسسة التربوية، وهذا من خلال وصف إجرائي لأهم مراحل بروز هذه المشكلة، إضافة إلى إعطاء أهم القراءات النقدية التي فسرت هاته الظاهرة داخل المؤسسة التعليمية، مبرزين في ذلك أهم الأسباب والمتغيرات السوسيو تربوية، وكذا البيداغوجية للفشل المدرسي من جهة، وأهم النتائج والإفرازات التربوية من جهة أخرى، دون أن ننسى بعض الحلول التي تتماشى والمراحل الراهنة، لاسيما على المديين المتوسط والطويل، فهي ظاهرة تبرز داخل مؤسسة تخضع إلى التغير الثقافي والاجتماعي والاقتصادي الذي ينتجه المجتمع بمختلف مؤسساته.

الكلمات المفتاحية: الفشل المدرسي، الرأس المال الثقافي، الثقافة المدرسية، الرسوب والتسرب، التعثر الدراسي.

Abstract :

In this article we will discuss a renewed educational phenomenon in the educational field, which is represented in the

most important indicators and manifestations related to school failure, which swept the educational institution, and this is through a procedural description of the most important stages of the emergence of this problem, in addition to giving the most critical readings that explained this phenomenon within the institution Educational, highlighting the most important causes and sociological changes, as well as pedagogy for school failure on the one hand, and the most important educational results and secretions on the other hand, without forgetting some of the solutions that are consistent with the current stages, especially in the medium and long term, as it is a phenomenon that emerges within the institution It is subject to the cultural, social and economic change that society produces in its various institutions.

Key words: school failure, cultural capital, school culture, failure and dropout, academic failure.

المؤلف المرسل: محمد بلخضر ، الإيميل: drbellamed72@gmail.com

1. مقدمة :

يعد الفشل المدرسي ظاهرة تربوية زاد انتشارها في الوسط التعليمي لتترك آثارها على أغلب مؤسسات التنشئة الاجتماعية، لاسيما الأسرة والمدرسة، فهاتين المؤسستين يسجلان في الكثير من الأحيان مواقف وردود أفعال أو بالأحرى يشكون من تلاميذ يرسبون في كل سنة دراسية، وعليه فظاهرة الفشل المدرسي لا تقل أهمية بل خطورة على مسار وحياة الأطفال، والذي يؤدي إلى هدر واستنزاف تربيين يؤثران على الفرد والجماعة.

وعليه من أجل الوقوف على واقع هذه المؤشرات ينبغي فهم الأسباب الحقيقية لهذه المشكلة والأخذ بيد التلميذ من أجل إنقاذه من الفشل في دراسته والوقوع في

التسرب المبكر، لذلك سوف نبدأ بماهية الفشل؟ هل هو ناتج عن عامل ذاتي مرتبط بالمتدريس خاصة في علاقته مع مخرجات المدرسة وما تقدمه من معلومات؟ وفيما تتمثل أهم المقاربات النظرية المفسرة لهذه الظاهرة؟؛ إذن هي تساؤلات نريد أن نقف بواسطتها على أهم جوانب الفشل المدرسي باعتباره ظاهرة تربوية عالمية، لا يمكن التحكم في جميع متغيراتها، أو بالأحرى مؤشراتنا إلا من خلال تكامل المقاربات في شتى التخصصات.

وس يظهر ذلك جليا من خلال إسهام كل خلفية نظرية ورؤيتها لأهم محطات بروز هذه الظاهرة وتفشيها في الوسط المدرسي، وطرح أهم الحلول والمقترحات فيما بعد التي تقلص من درجة انتشارها.

2. المقاربات النظرية للفشل المدرسي:

إن الزخم الفكري والنظري الذي اهتم بالفشل المدرسي كظاهرة تربوية واجتماعية واقتصادية...؛ أدى إلى بلورة جملة من المقاربات التي استقطبت علماء الاجتماع وعلماء النفس، وهذا نظرا لتشعب مؤشرات الفردية والجماعية، والتي تنتج عنها مظاهر هذه الظاهرة - الفشل المدرسي - في الواقع التربوي، لتحاول هذه المقاربات تفسير هذه الظاهرة، ومن أهم هذه الاتجاهات التي اهتمت بتفسير الفشل المدرسي ما يلي:

1.2 المقاربة السوسيولوجية:

اهتم الكثير من المفكرين وفلاسفة التربية بالعوامل الاجتماعية كالظروف الاقتصادية للأسرة ومستواها التعليمي والثقافي وما تعكسه من آثار نفسية، صحية واجتماعية على الطلاب، ومدى تأثيرها في نجاحهم أو فشلهم، حيث بززت تيارات متصارعة فيما بينها لتحديد دور النظام المدرسي من خلال المدرسة كمؤسسة تعكس السياسة العامة للدولة والمجتمع، وبالتالي فكل تيار يدافع عن وجهة نظره في تنظيم

المدرسة وجعلها أداة ووسيلة لتنظيم المجتمع، فالمدرسة في رأيهم هي نظام مصغر للمجتمع بفنائه وطبقاته المتصارعة، بل هي صورة مطابقة للمجتمع ، فهي جزء لا يتجزأ من الوضع الاجتماعي، وما دامت المدرسة غير منعزلة عن المجتمع ، فهي إذن مدرسة النخبة القائمة على الاختيار والتصنيف، وبالتالي فالعلاقة بين المدرسة والفشل الدراسي هي علاقة وطيدة¹.

كما أوضحت أبحاث "Collins.Hwin" أن الخلفية الاجتماعية للطفل هي التي تؤثر على مستواه الاقتصادي والاجتماعي في الكبر، وحتى وإن أكمل تعليمه، وحينها يتساوى في المستوى التعليمي فإن المتغير الاجتماعي هو الذي يؤثر في وضعية الفرد²؛ وكما هو واضح أن المدرسة تستقبل أطفال الفئات الاجتماعية المختلفة وتوفر حظوظا متساوية في متابعة دراستهم الابتدائية والثانوية والعليا هذا ظاهريا، لكنها في الواقع تدعم التفاوت الاجتماعي ، وهذا من خلال تبنيها الثقافة القريبة للطبقة المهنية العليا، وكمال يقول "جون كلود فوركان": « إن المستوى الاجتماعي للأفراد رهين بمستواهم التعليمي، وهذا الأخير متصل بالمصدر الاجتماعي ويؤثر فيه»³.

كما أن للجو الأسري له دور كبير في الحياة الدراسية للطفل، وهذا ما يخص الأسرة المستقلة، حيث أن انعدام الاستقرار الأسري يخلق نوع من القلق والتوتر النفسي ، حيث اكتشفت البحوث الإكلينيكية أن الأسرة يسودها التفكك وانعدام الثقة والصراعات تُخرج أطفالا مرضى منحرفين، أما الأسرة التي تسودها علاقات الود والاحترام تخرج أطفالا أسوياء⁴؛ في حين أكدت الكثير من الدراسات والأبحاث أن الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأسرة يحدد مدى نجاح أو فشل التلميذ، لأن الأفراد الذين يعيشون في مستوى اجتماعي وثقافي منخفض يعانون من ضмор في الخبرات التي تزيد في معارفهم ومدركاتهم، وهذا ما تؤكدته الكثير من الدراسات التربوية لا

سيما دراسات "بورديو وباسرون Bordieu et Passeron" أن أغلب المتعلمين تأخرا في الدراسة هم من أصل اجتماعي واقتصادي متدني، ويعيشون في أسر كثيرة الأبناء، وفي الغالب الرأسمال الثقافي للوالدين لهاته الأسر منخفض، إضافة إلى الرأسمال الاقتصادي المتدني أيضا.

كل هذه المتغيرات من شأنها أن تؤثر بطريقة أو بأخرى على المجرى الدراسي للمتعلم، أي في نجاحه أو فشله هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالأسرة تقوم أيضا بنقل نوع خاص من الرأسمال الثقافي لأبنائها بطرق مباشرة أو غير مباشرة حيث يرى كل من "بورديو وباسرون" فيما يخص مفهوم الثقافة المدرسية وعلاقتها بالثقافة الفرعية الخاصة بالفئات الاجتماعية المختلفة في المجتمع، أن الثقافة المدرسية ليست الأم لأي من الطبقات الاجتماعية، وإنما هي أقرب ما تكون إلى الثقافة الخاصة بالبرجوازية وأبعد عن الثقافة الشعبية، هذه الوظيفة الاجتماعية للثقافة المدرسية جزء لا يتجزأ من دورها في استنساخ التوازن الاجتماعي والإيديولوجية السائدة، وبهذا فإن اللغة تحتل مكان الصدارة في قضية النجاح الدراسي، لأن المتعلم الذي يتكلم في عائلته لغة قريبة من لغة المدرسة، له أكثر الحظوظ في النجاح مقارنة مع الذي يتكلم لغة بعيدة عن لغة القسم⁵.

ومن جهة أخرى إذا كانت مقارنة إعادة الإنتاج بمختلف اتجاهاتها حرصت على دراسة المدرسة والتي من خلالها يتم إعادة الإنتاج الاجتماعي وهيمنة الثقافة البورجوازية المسيطرة على خطاب المدرسة كما ذكر آنفا فإن منظري الحراك الاجتماعي اقتصر على دراسة المدرسة من الخارج، وهذا ما جعل من ظاهرة الفشل المدرسي ظاهرة اجتماعية ذات ديمومة حسب "ريمون بودون"، والذي كان نتيجة مجموعة معقدة من المحددات التي لا يمكن تصورها منعزلة بعضها عن بعض، وإنما يجب التعامل معها كمجموعة تشكل نسقا⁶.

وعليه من خلال هذه المقاربة يقدم "ريمون بودون" نموذجاً تحليلياً لها، حيث انطلق من معطيات عديدة حصرها في شكل من البناء العلائقي والذي يتميز بدرجة مقبولة من العمومية والمرونة استجابة لمعايير التكميم والبساطة ليبني فيما بعد عليها نموذجاً مركباً للعمل على صيغة فرضيات بسيطة مكونة من متغيرات وهي: المنشأ العائلي، مستوى الدراسة، الوضع الاجتماعي.

فمن خلال علاقة المتغيرات الثلاثة قدم بودون نموذجاً لمسار التمدرس والتراتبية الاجتماعية، لذلك وحسب بودون دائماً أن عدم تكافؤ الفرص سبب حتماً تداخل أو التقاء نسقين وهما: نسق المواقع الاجتماعية، ونسق المسارات الدراسية، وهذا الذي يؤدي إلى اللامساواة إذا كانت ناجمة عن التراتبية الاجتماعية والهرمية المدرسية، فإن تركيبها يضاعف من اللامساواة في التمدرس والحظوظ داخل المدرسة بين الأصول الاجتماعية المختلفة.

ولتوضيح آثار المجتمع التراتبي على تكافؤ الفرص، فإن بودون يقترح نموذج مكون من أفراد متباينين في مواقعهم الاجتماعية، حيث يعتبر أن موقعهم يحتم عليهم الإقبال على اختيارات وقرارات متباينة في مختلف مراحل التوجيه المدرسي، وتبعاً لنفس التفسير النسقي والمؤطر بعدد من المؤشرات الإحصائية كمصادر الشغل، المواقع الاجتماعية، المعطيات السوسولوجية ...، والمنتجة لعدم تكافؤ الفرص، نجد أن بودون يقحم تلك العلاقة القائمة بين الهيمنة وبنية الجدارة (الكفاءة) والاستحقاق في الحراك الاجتماعي، بمعنى أكثر أن كفاءات الأفراد ناتجة عن منشئهم الاجتماعي المرتفع، أما عن بنية الاستحقاق مؤداها أن مستوى الدراسة هو الذي يحدد الموقع الاجتماعي للأفراد.

2.2 المقاربة البيداغوجية للمدرسة:

تعد البيئة المدرسية المحيط الغني الذي يجد فيه التلميذ ضالته العلمية والمدرسية ولعل المحور الرئيسي والعنصر الفعال هو الأستاذ أو المدرس، إذ أن عملية التحصيل داخل القسم لها صلة كبيرة بالمدرس، فالمدرس لم يولد مدرسا، وإنما مر بفترة طفولة وشباب، وتعرض لعوامل تحدد شخصيته، فهو متأثر بوالديه ومعلميه، وقد يطبق كل ما تعرض له في حياته من حالات نفسية على المتعلمين داخل القسم، وهذا ما يفسر استعمال القسوة مع التلاميذ.

ومن أهم الأخطاء التي وقعت فيها المدرسة التقليدية إهمالها لمبدأ النشاط التلقائي في عملية التعليم، فالتعليم المقصود لا يتم إلا إذا قام المعلم بجهد ذاتي، كما يجب أن يشرك تلاميذه في عملية التعليم، وأن يوجههم ويرغبهم في الدراسة والتحصيل الجيد، فالحديث عن البرامج الدراسية يقودنا للحديث كذلك عن المواد وطريقة الامتحانات المتبعة في المدارس، فالاعتماد المفرط على البرامج التقليدية الذي كان يطبق في المدارس والذي اهتم كثيرا بالناحية العقلية للتلميذ القائمة على أساس تنفيذ طريقة الإلقاء وحفظ الدرس واستظهارها وتسميعها، فإن هذا البرنامج يعتمد على طريقة المواد المنفصلة، حيث أن كل مادة قائمة بذاتها؛ وفي بعض الأحيان تُقسم المادة الواحدة إلى فروع، فمثلا: اللغة العربية في شكل مواد منفصلة مثل: القواعد، اللغة للإنشاء ولإملاء، ومن هنا يعجز التلميذ على الاستفادة مما تعلمه لعدم ارتباطه بالواقع الاجتماعي، لأن المنهج لا يراعي فيه ميول التلميذ ورغباته وخصائصه، كما أهمل ما يدور في المجتمع، وأهمل إعداد التلاميذ للحياة، ولم يراعي الفروق الفردية بين التلاميذ، وكذلك كثافة البرنامج الدراسي، مما يجعل التلميذ يحس بالملل والضغط بسبب هذه الكثافة مما يؤثر على تحصيلهم الجيد⁷.

فمن المتفق عليه تربويا ونفسيا وعلميا أن تحديد عدد المواد وزمن الحصص ومقدار الدروس التي يتلقاها التلميذ في اليوم أو في الأسبوع لابد أن يتأسس على مبادئ وهي كالآتي :

- سن الطفل وقدرته على التحمل من حيث الانتباه والإدراك والفهم والحفظ والاستيعاب.

- نوع المادة من حيث صعوبة الدروس وتعقيدها أو بساطتها، وتتطلب الحفظ والفهم.

- كثافة المواد المبرمجة، وكمية المواد التي تحقق الأهداف، حيث أن كثرة المواد سبب من أسباب ضعف المستوى التعليمي، وفشل كثير من التلاميذ في الامتحانات. ومن هنا ينبغي مراعاة وضع البرنامج الدراسي الخاص بالمواد مع ما يتلاءم والتقويت الزمني، فمادة الرياضيات مثلا توضع في الفترة الصباحية بالنسبة للأقسام العلمية، بينما تقديم مادة الفلسفة والاجتماعيات للأقسام الأدبية.

وتشير بعض الدراسات إلى تأثر أحكام المعلمين وتقديراتهم لطلابهم بالخلفية الاقتصادية والاجتماعية التي ينحدر منها هؤلاء الطلاب، ومنها دراسة (نشواتي وطحان 1977)، وتبين نتائج الدراستين وجود ارتباط إيجابي بين المستوى الاقتصادي والاجتماعي لأسر التلاميذ والنتائج الدراسية لأبنائهم، حيث يميل الكثير من الأساتذة إلى تقييم التلاميذ المنحدرين من مستويات اقتصادية واجتماعية عالية على نحو أفضل من تقديراتهم للطلاب المنحدرين من مستويات اجتماعية واقتصادية منخفضة⁸.

ومن منحى آخر يرى (J.L.Lang) بأن الصعوبات الدراسية الناتجة عن توجيه تلميذ إلى تخصص لا يتماشى مع إمكانياته وميوله ورغباته تفوق بكثير تلك التي يكون سببها عوامل جسمية أو نفسية، فالتوجيه السائد حاليا في مدارسنا في

حقيقة الأمر عملية توزيعية للتلاميذ في مختلف التخصصات والفروع وفقا للتنظيم التربوي للمؤسسات التعليمية ومتطلبات الخريطة المدرسية، ولا يراعى فيه إطلاقا ميل التلاميذ واهتماماتهم وقدراتهم العقلية واستعداداتهم الشخصية، ويعتمد فيها على معدلات التلاميذ في مختلف المواد الدراسية ورغباتهم المصرح بها.

هذه العوامل غير كافية للتوجيه الصحيح والسليم، وأساء من هذا أن عملية التوجيه تتم في كثير من الأحيان بطريقة تعسفية، هذا النوع من التوجيه يسيء للتلميذ ويؤدي به لا محالة إلى الفشل⁹.

3. الأسباب الحقيقية المنتجة للفشل المدرسي :

إن أسباب الفشل المدرسي متعددة ومتنوعة منها داخلية وأخرى خارجية، أو بالأحرى هناك أسبابا ذاتية وأخرى موضوعية نذكرها ليس على سبيل الحصر والمتمثلة فيما يأتي:

1.3 عوامل داخلية (ذاتية) لصيقة بالتلميذ:

1.1.3 القدرات العامة للمتعلم: والتي تنعكس في الذكاء الفطري للمتعلم حيث أن الذكي أقدر على التحصيل والتعلم، كما أنه أدق وأسرع في فهم وإدراك العلاقات، فالذكاء المنخفض للتلميذ بالمقارنة بزملائه في الفصل يؤدي أيضا إلى تحصيل دراسي منخفض نسبيا¹⁰.

2.1.3 ضعف القدرات الخاصة بالمتعلم : كالقدرة العددية واللفظية، فقد تكون واحدة أو أكثر من هذه القدرات مسؤولة عن فشل التلميذ أثناء عملية التعلم، وكثيرا ما يطلق عليها صعوبات التعلم، ونذكر من بينها ما يلي:

- **عسر القراءة :** هو صعوبة غير عادية في اكتساب القراءة، ينتشر هذا الاضطراب بين الأطفال في المدارس الابتدائية، لا يشخص إلا ابتداء من 7 سنوات، وتعتبر صعوبة غير عادية مع قدرات التلميذ العقلية وسنّه، وله عدة أشكال: عميق، بسيط ،

مختلط؛ فهناك بعض التلاميذ الأذكياء بدون إعاقات، لديهم صعوبات كبيرة في تعلم القراءة، ونجدهم في وضعية فشل مدرسي بالرغم من إرادتهم القوية، والفشل لا يتعلق بالإرادة القوية أو الضعيفة، وإنما بوجود صعوبة حقيقية يواجهها التلميذ أثناء التعلم.

- **عسر النحو:** هذا الاضطراب مرتبط بعسر القراءة.

- **عسر الحساب:** مرتبط بصعوبة التنظيم المكاني والفشل في تعلم المفاهيم الأولية للحساب، وكذلك الفشل في القدرة على حساب عدد بطريقة صحيحة.

- **عسر الكتابة:** اضطراب مرتبط بإعاقة عصبية أو ثقافية، هذه الصعوبات تظهر غالباً نتيجة لتقلص عضلي كبير متعلق باضطرابات حسية.

- **عسر الحركة (الجانبيه):** اضطرابات للصورة الجسمية والتمثيل الحركي بدون إصابة عصبية محددة، وهي تنتج فشل واضح في القراءة والحساب، واضطرابات عاطفية تختلف في خطورتها، لا تستطيع التفريق بينها وبين التعب الحركي الخطير.

- **عسر النطق:** صعوبة خاصة باللغة تشكل مشاكل كبيرة في الفهم والتعبير عن اللغة في غياب الصوت، صعوبة عقلية أو اضطراب عاطفي، وهناك عدة أشكال لها خفيفة تصبح دائمة.

3.1.3 الحالة الصحية للمتعلم:

وتضم الأمراض المختلفة التي يمكن أن تصيب التلميذ بشكل طارئ أو مزمن، مما يؤدي إلى التغيب عن المدرسة، مما يؤدي إلى تراكم الدروس، فيبدأ يشعر بالعجز والكسل فيتخلف عن زملائه وفي نهاية المطاف الفشل في الدراسة¹¹.

4.1.3 الصفات الشخصية للتلميذ :

- **ويتعلق ذلك بضعف الإرادة:** أي عدم وجود رغبة نحو الدراسة والتحصيل وعدم وجود دافع أو طموح لدى المتعلم، والذي يمثل أكثر حافز له للدراسة والنجاح.

- **عدم وضوح الهدف من التعليم:** والذي يُعين على تحديد الوسائل الملائمة لبلوغه ويزيد من نشاط المتعلم وتحمسه، وتشكل له الحافز الذي بدونه يشرد انتباهه¹².

- **كثرة غياب المتعلم وعدم الانتظام في الدراسة:** والذي يرجع في حد ذاته إلى كرهه للمدرسة أو فشله المدرسي أو سوء علاقته فيها مع أحد المعلمين، وعدم تكيفه مع وسطه المدرسي، أو إلى سوء علاقته داخل الأسرة أو لمرضه، إضافة إلى تنقل المتعلم بين الفصول، أو بين المدارس وغيرها من العوامل التي قد تؤدي إلى غيابه المتكرر عن الفصل الدراسي¹³.

2.3 عوامل موضوعية:

- **عوامل أسرية :** قد تضم الأسرة مجموعة من الظروف والعوامل التي تؤثر سلباً على التلميذ في دراسته، ويمكن ذكرها فيما يأتي:

- **عدم ملائمة المكان للدراسة:** كالضجيج، الإضاءة، التهوية المناسبة، ضيق المنزل ...

- **وجود مغريات تجذب اهتمام التلميذ وتبعده عن درسه:** كالتلفزيون والإذاعة والانترنت وغيرها من وسائل الترفيه.

- **المستوى العلمي والثقافي للوالدين:** مدى وعيها العام وقدرتها على الإجابة على وضع خطة مناسبة للاستذكار والدراسة، ومستوى طموحها بالنسبة للتعليم وتشجيعها على التحصيل الجيد.

- **طبيعة العلاقة القائمة بين أفراد الأسرة:** بما فيها الجو النفسي للبيت، وما يسوده من وئام أو خلاف بين الوالدين ، وكذلك نوع المعاملات التي يتلقاها الابن التلميذ من الوالدين، وخاصة إذا شعر أن العلاقة بين والديه تهدد بالانهيار، وأن مستقبله وأمنه النفسي مهددان.

- سوء المعاملة التي يتلقاها المتعلم من الأسرة: وذلك نتيجة لزواج أحد الوالدين، أو بسبب الهجر والطلاق والكوارث المادية، وفاة أحد الوالدين أو كلاهما، كلها عوامل تؤثر على نجاح أو فشل التلميذ¹⁴.

- المستوى الاقتصادي للأسرة: مدى توفير السكن الملائم والغذاء الصحي ووسائل الانتقال إلى المدرسة دون إجهاد، والملبس المناسب والإمكانيات المادية التي يتطلبها التحصيل الدراسي، ولقد أشارت الدراسات أن التحصيل الدراسي للأبناء يتأثر بالمستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة، وأن الارتباط الجوهري بين المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة، والتحصيل الدراسي للأبناء قد يرجع لما توفره الأسرة ذات المستوى الاجتماعي الاقتصادي المرتفع من إمكانيات ثقافية تساعد الأبناء على التحصيل الدراسي المرتفع مثل توفير مكتبة بالمنزل، توفير المجالات الثقافية¹⁵.

3.3 العوامل البيداغوجية للفشل المدرسي:

1.3.3 الطابع الهيكلي - التنظيمي المدرسي :

ما إن يلج الطفل المدرسة إلا وتتغير الأمور من حوله وتبدأ المشاكل والتعقيدات ، فيبدأ في فقدان التلقائية والحرية التي كانت تميز حياته السابقة، فيدخل في دوامة من الالتزام والخوف والهلع أمام هذا الطابع الهيكلي التنظيمي الجامد الذي يميز الحياة المدرسية (المقررات، الأوامر والنواهي، التوجيهات، الانتظام في الصفوف، الجلوس بهدوء، المنافسة مع التلاميذ ...)، فيدخل التلميذ في إطار ما يسمى بالصدمة النفسية - الثقافية ، والتي تجعله يتعلم بنوع من الضغط والإكراه بدلا من الرغبة التلقائية والإقبال العفوي على التعلم والمطالعة الذاتية ، فلا بد لمن يريد أن يتعلم أن تتوفر فيه الشروط (السن ، مكان الازدياد ..)، وأن يتعلم محتويات مقررة في المنهاج الرسمي العام والمشارك بين جميع المؤسسات، وأن يتعلم مع مجموعة من التلاميذ المصنفين بناء على اللوائح التنظيمية المعمول بها، فلا يمكن للتلاميذ

أن يتعلموا إلا في إطار هذا النظام المهيكل والصارم من طرف الراشدين عندما تكون الأهداف محددة، وبحضور مدرس مهياً للقيام بالتعليم في إطار مواد وحصص وتوزيع زمني مسطر مسبقاً¹⁶.

2.3.3 الطابع الفصولي - التتابعي :

الخاصية التي تميز الأنظمة المدرسية بشكل عام هي الخاصية الفصولية والتعاقبية، حيث تبنى المقررات على أساس التعاقب والتتالي، فالمادة الواحدة من المقرر تقسم وتجزأ إلى مجموعة من الدروس والوحدات، وداخل كل درس هناك مواضيع تكون عبارة عن حلقات متسلسلة، حيث أن فشل في اكتساب الوحدة الأولى ينتج عنه بالضرورة فشل في اكتساب الوحدة الثانية ما دامت هذه الوحدة مبنية على السابقة، ولا يمكن فهمها وتحصيلها ما دمنا لم نحصل الوحدة الأولى بشكل مناسب. فما يحدث من تعثر بسبب الطبيعة الفصولية والتعاقبية للمواد الدراسية، يؤدي إلى تأصيل ميكانيزم الفشل، فبمجرد ما يبدأ الفشل في الظهور كمقدمة في سلوك الطفل، تبدأ تظهر مشاعر الخوف والقلق، مما يؤدي إلى تسرب ميكانيزم الفشل والشعور بالعجز وفقدان الثقة بالنفس¹⁷.

3.3.3 الطابع الإختباري:

إن ما يحصل عليه التلاميذ من نتائج في نهاية الدراسة (نجاح أو فشل) تشكل العنصر الأساسي في أسلوب التحفيز وإثارة همة التلاميذ، كما لا ننسى ما يترتب عن ذلك من ظواهر سلبية تزيد في تعميق مشاعر الفشل والإحباط في مقدماتها الخوف والهلع من الامتحان والاضطراب في الأداء بسبب المناخ القاسي الذي تمر فيه الامتحانات، مما يؤدي إلى تعثر الكثير من التلاميذ، فيصبح الامتحان لا يكشف عن مستوى تحصيل التلاميذ الحقيقي، كما قد يؤدي ذلك إلى انتشار

ظواهر لا تربوية مفسدة كالغش في الامتحانات، العدوانية اتجاه المدرسة والمدرسين من أجل مواجهة ضغوط الامتحانات¹⁸.

4. إفرازات الفشل المدرسي :

يفرز الفشل المدرسي آثارا على نفسية الطفل المتعلم، مما يؤثر على توازنه الوجداني والعاطفي والنفسي، حيث كما ذكرنا سابقا مدى تأثير المستوى الثقافي للآباء على نجاح الأبناء، لا سيما ما يرسمونه لهم من آفاق، لكن عندما يحدث العكس من ذلك يصطدم الآباء بفشل أبنائهم، فمن بين أهم نتائج وإفرازات الفشل المدرسي ما يلي:

1.4.1 الإكتئاب:

الاكتئاب عند الطفل ليس كالاكتئاب لدى الراشد، حيث يظهر أساسا في شكل عجز عن إثباته لوجوده في المحيط الأسري، وأيضا عدم قدرته على مواجهة متطلبات الحياة الاجتماعية والمدرسية، أو عدم تحمل الفشل الناتج عن المنافسة غير الممكنة مع الآخرين؛ وهذا ما يجعله يعاني الشعور بالذنب، كما أنه يولد لديه الانطباع بالشك الوجودي بعدم قدرته على أداء النشاطات المدرسي، فيوصف الطفل بأنه سلبي، متوتر، يتصرف بطريقة سيئة أمام التغيرات التي يعيشها والإحباطات التي يصادفها في حياته، من اضطرابات النوم، آلام الرأس....، ويرجع ذلك إلى عدم الانتباه، إضافة إلى اضطرابات الذاكرة وعدم القدرة على مواجهة وضعية منافسة¹⁹.

2.4. اضطرابات السلوك:

لقد أثبتت دراسات حديثة أجراها علماء الاجتماع المدرسي أن هناك رابط وثيق بين الفشل المدرسي والاضطرابات السلوكية لدى التلميذ كعدم القدرة على مواجهة الآخرين، وعدم أداء التلميذ للأعمال المدرسية، وكذا السلوكيات العدوانية

والجنوح، والذي يسعى من خلالها التلميذ إلى لفت الانتباه، في حين نجد أن السلوك الأكثر ملاحظة لدى الطفل هو عدم الاستقرار والثبات لا سيما في فترة المراهقة التي تتميز باضطرابات السلوك كالسرقة، الكذب، الهروب من المنزل ...

3.4 الإجهاد أو الحصر:

ويتمثل غالبا في مجموعة من الاضطرابات المختلفة الخاصة، النفسوجسدية- كآلام البطن، آلام الرأس، التقى، العادات الحركية، التأثأة، التعب، مما يؤدي إلى غياب التلميذ عن المدرسة، والامتحانات، وأحيانا عدم التواصل مع الآخرين، ومشاكل أخرى، وهذا كله قد يكون نتيجة لأسباب متنوعة كالمرض والاضطرابات العائلية وغيرها من الأمور، وسرعان ما يزول هذا الفشل مع زوال السبب أو الدافع²⁰.

لكن، ومن خلال هذا العرض لأهم الإفرازات والنتائج الملفتة للانتباه التي تخص الفشل المدرسي لا بد من تجسيد حلول وميكانيزمات عاجلة، ولكن بتقديم ضمانات من أجل نجاحها من جهة، وكبح هذه الظاهرة التربوية الخطيرة التي تتخر في جسد النظام التربوي بكل مستوياته من جهة أخرى، لذلك ينبغي تجسيد بعض الحلول والضمانات ذات الطابع الميداني، والتي من شأنها التقليل من حدة الفشل، وإعادة الكفة لصالح النجاح المدرسي، ومن أهم هذه الحلول ما يلي:

* التعاون الأسري:

إن التعاون بين الأسرة والمدرسة عامل مهم في اكتساب التلاميذ نجاحات متكررة، فالمنظومة التربوية لا تعمل في فراغ، فهي تتأثر بمعطيات الواقع الاجتماعي المتمثل في عدد من المستويات كالأسرة التي تعد أول مكان لتنمية شخصية التلميذ ونقل التراث الاجتماعي، واستيعاب القيم واكتساب الحس المدني، ولا يمكن للمؤسسات التعليمية مهما كانت مؤهلاتها من توفير أساتذة أكفاء، ومادة علمية

متماشية مع العصر وطرق التربية ووسائل التحصيل للرفع من مردود التعليم ما لم تتعاون معهم الأسرة.

* تحديد معايير الانتقال :

حيث لا ينبغي أن يكون الانتقال من سنة إلى أخرى خاضعا للحظ ، بل ينبغي أن يكون هناك توجيه أفضل للطلاب إلى ما يلائمهم من اختصاصات ومساعدة المتأخرين منهم على اللحاق بأصحابهم، فمعاناة الكثير من التلاميذ من الفشل المدرسي ازدادت خاصة في السنوات الأخيرة، حيث تحاول وزارة التعليم الحد منها ولكنها لم تصل بعد إلى الحل المرضي لوجود عدة مشاكل.

* توثيق الصلة بين البرامج التعليمية والحياة الاجتماعية :

إن ما نلاحظه هو أن أغلب برامجنا مستقاة من مجتمعات غير مجتمعا ، والذي يتميز بخصوصيات تختلف لا محالة عما هو موجود في تلك المجتمعات التي أعدت لها، فما يصلح لغيرنا لا يصلح بالضرورة لنا، وعليه ينبغي مراعاة خصوصيات كل مجتمع حينما تنتقي برامج تعليمية، فالمدرسة لا تصنع الخبرة فقط، بل تصنع مواطن المستقبل، وتغرس فيه بذور الإيديولوجية التي ارتضتها الأمة له، لهذا لا بد أن تعكس البرامج تراث الشعب، وتؤكد قيمه، وتدعو إلى النقاني في العمل وحب الوطن، وهي معاني ومواقف لا تقتصر على بضعة دروس تلقينية تلقى في حصص التربية الدينية والوطنية، بل ينبغي أن يتردد صداها في البرامج التعليمية كلها.

* تكوين هيئة بيداغوجية وطنية :

إن وزارة التعليم والتكوين ومختلف مؤسساتها تخلو من هذه الهيئة التي يكون من وظائفها تصورات علمية تسهر على دعم اختبارات الوطن، فالجدل يكون دائما قائمة بين الإطار التنظيري أو الإيديولوجية وبين الممارسة الميدانية للعمل التربوي،

فالإهمال في هذه القضية يتولد عنه استيراد القوالب الجاهزة، والصراع حول الأسماء التي يطلقونها عليها ، والألوان التي يصبغونها بها.

فمن وظائف هذه الهيئة تنشيط الجهد الأكاديمي للبحث الأساسي والتطبيقي، والتوجيه السياسي والتربوي لمضمون التعليم، وتحديد الأهداف الاستراتيجية التربوية على المدى القصير والبعيد.

* تشجيع النشاطات خارج إطار التمدريس:

إن تلاميذ التعليم الثانوي وما هم عليه من طاقات متفجرة تقتضي العمل على توجيهها التوجيه اللائق بها حتى لا تتحول إلى آثار سلبية على التلميذ والمؤسسة، فهذه النشاطات يمكن أن تغرس روح الجدية في الإقبال على الدراسة بنفسية جديدة لا يعرف الملل طريقها؛ وما نلاحظه في مدارسنا هو تقهقر هذه النشاطات في السنوات الأخيرة التي تشهد تدهورا على مستوى النتائج المدرسية في مختلف المؤسسات التعليمية²¹.

5. خاتمة :

ستظل ظاهرة الفشل المدرسي ظاهرة معقدة المؤشرات، وتحديد ما يبقى رهين الأسباب والمتغيرات غير الثابتة التي تخضع إلى الواقع التربوي لأي مجتمع، كما لا يمكن الجزم إلى إيجاد حلول ثابتة ومطلقة لهاته المعضلة التربوية المتجددة في الزمان والمكان، لكن ينبغي على كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية لاسيما الأسرة والمدرسة أن تعمل معا من أخذ الحيطة والحذر مما قد تفرزه المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وكذا تبقى هاتين المؤسستين الاجتماعيتين - الأسرة - والمدرسة - العين الحارسة على الطفل المتعلم عبر كل مراحل العمرية والدراسية.

كما لا يمكن أن ننسى أن للمنظومة التربوية رهان مستمر في مواجهة هذا الخلل الوظيفي - الفشل المدرسي - الذي يمس أحد أهم مكونات العملية التعليمية

ألا وهو المتعلم، حيث أن أهم رهان يتمثل في إيجاد الحلول الناجعة والفعالة من أجل تفادي أكبر قدر من الأضرار التي قد تفرز وبصفة متواصلة تدني التحصيل الدراسي، وهذا لا يتأتى إلا من خلال إيجاد البيئة المناسبة داخل المؤسسة التربوية من موارد بشرية ذات جودة من جهة، والاهتمام بالجانب الفيزيقي لهاته المؤسسة باعتباره عامل حاسم في نجاح المتعلم وتحقيق التحصيل الدراسي الجيد من جهة أخرى.

فهذا كله ينطوي تحت ما يسمى الآن في الدول المتقدمة تربويا وعلميا بالإستراتيجية التربوية ذات الأبعاد الاستشرافية، والتي لا يقوم ولا يشرف عليها إلا المختصون في حقل التربية، وهذا من أجل تقديم ضمانات لنجاح أي مشروع يتبناه المجتمع الذي يحرص على أبنائه من أجل تحقيق نجاح مدرسي يكون كفيل في تحقيق نجاحات أخرى تمس جل المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية.

6.المراجع:

1-B. Pissarro, Dmiculture intellectuelle et l'échec scolaire, doin ecliton , Paris, 1980, p : 40.

2- سعيد إسماعيل علي، فلسفة تربوية معاصرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1995، ص: 168.

3- أحمد شبشوب ، علوم التربية ، الدار التونسية ، تونس ، 1991 ، ص : 273.

4- نبيل السمالوطي، مصطفى زيدان، علم النفس، دار الشروق، جدة ، 1985 ، ص : 140.

5- إبراهيم عثمان، الخلفية الأسرية ومعادلات التحصيل الدراسي، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت ، مجلد 21 ، العدد 01 ، ص ص: 2-13.

6-R.Boudon, l'inégalité des chances, la mobilité sociale dans les sociétés industrielles, Armand colin, Paris , 1973, p : 7.

7- محمد رمضان وآخرون ، أصول التربية وعلم النفس ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط4 ، 1979 ، ص: 226.

- 8- عبد المجيد سرحان، المناهج المعاصرة، مكتبة الفلاح، الكويت، ط4، 1983، ص: 74.
- 9-Jean louis long , l'enfance inadaptée , puf , Paris , 1976, p : 85.
- 10- صموئيل مغاريوس، الصحة النفسية والعمل المدرسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط2 ، 1982 ، ص : 143.
- 11- نفس المرجع ، ص : 143.
- 12- مایسة أحمد النیال، التنشئة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص : 143.
- 13- عدلي سليمان ، مرجع سبق ذكره ، ص : 36.
- 14- نفس المرجع ، ص: 37.
- 15- نفس المرجع ، ص: 31.
- 16- محمد الدريج ، الفشل المدرسي وأساليب الدعم التربوي ، موقع دفاتيري ، تم تصفح الموقع يوم : 2019/10/26 <http://www.dafatiri.com>
- 17- نفس المرجع.
- 18- نفس المرجع.
- 19- L'échec scolaire: causes et conséquences de cette échec , http://sites.google.com/site/_lechechscolairealecole.lesiteà été consulté le 28/10/2019.
- 20-ibid.
- 21- محمد العربي ولد خليفة، المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989 ، ص ص : 75-100.